الجغرافيا بين الوضعية والنقدية

أ. د. عباس غالي الحديثي

جامعة بغداد –كلية الاداب– قسم الجغرافية

abbas171950@gmail.com

Geography between situation and criticism

Prof Dr. Abbas Ghali Al-Hadithi

University of Baghdad - College of Art - Department of Geography

المستخلص

العالم للبيع ومن أجل منع بيع العالم يتطلب الأمر الكثير من العمل من قبل الجغرافيين النقديين.

شـــهدت الجغرافيا تحولات كثيرة وعميقة رغم عمرها الاكاديمي القصـــير. كانت من أهداف او دوافع هذه التحولات إضـــفاء الطابع العلمي الصرف والنفعي على الجغرافيا بمعنى إمكانية صياغة تعميمات وقوانين ونظريات قابلة للتطبيق، لكن اغلبها لم ينجح في مسعاه. ولعل آخر هذه التحولات هو النظر الى الظاهرة (الظواهر) التي يُخضـــعها الجغرافيون للتحليل من منظور النظرية الاجتماعية النقدية التي تعارض المنظور الوضعي الذي يرى ان المعرفة تتأتى فقط من التجربة المباشرة او غير المباشرة عبر الملاحظات والقياسات التي تتم بواسطتها معرفة الموضوع أي الظاهرة تحت الدراسة هادفة بذلك تطبيق القوانين المصاغة على ضوء القوانين الطبيعية، وقاد هذا الجغرافيين الى ما عُرف بالثورة الكمية في الجغرافيا. بينما النقديون يرون بأن العلم وبخاصـــة العلم الاجتماعي يخدم بعض الغرض الســـياســـي ومنها خدمة النظام الاجتماعي الراســـخ تقليدياً وتمكينه من البقاء وبالتالي فإن الجغرافيا النقدية تحاول كشـــف بدائل الانعتاق (التحرر) للتيار المهيمن بواســـطة للدولة ورأس المال، للذي من معالمه عدم المســـاواة، الجريمة، التلوث، الفقر، الحروب، التهميش، اضطهاد الأقليات، قهر النساء وغيرها. وعليه، فالبحث يهدف الى بيان تأثير الفلسفة الوضعية على الجغرافيا وانعكاسات ذلك على بروز الجغرافيا النقدية وتحديد علاقتها بالنظرية الاجتماعية النقدية بعد تحديد ماهيتهما. مع بيان التوزيع الجغرافي للنتاج الفكري الخاص بالجغرافيا النقدية عالمياً، وأهم التحديات التي تواجه هذا النتاج.

تنبع مشـــروعية البحث من ضـــرورة متابعة التحولات الحديثة في الجغرافيا، وتوجيه انظار المختصـــين الى تلك التحولات وإمكانية فحصـــها وتدقيقها وتطبيقها. ان هذا المجال من البحث الجغرافي فيه ندرة كبيرة باللغة العربية، وعليه كان ضـــروريا ان يكون عماده المصـــادر الأجنبية. لهذا يُعد البحث من بين أولى المحاولات التمهيدية في الوطن العربي – على حد علم الباحث – لعرض أفكار الجغرافيا النقدية وهي محاولة قابلة للتطوير والتحوير والتطبيق.

مفاتيح الكلمات: الوضعية\ النقدية\ الظواهر\ البحث الجغرافي.

Abstract

Geography has witnessed many profound transformations despite its short academic history. One of the goals or motives of these transformations was to give a scientific and utilitarian character to geography, meaning the ability to formulate generalizations, laws, and applicable theories, but most of them did not succeed in their endeavor. Perhaps the latest of these transformations is the view of the phenomenon (or phenomena) that geographers analyze from the perspective of critical social theory, which opposes the positivist perspective that sees knowledge as only coming from direct or indirect experience through observations and measurements, through which the knowledge of the subject, i.e., the phenomenon under study, aims to apply the formulated laws in light of natural laws. This led geographers to what became known as the quantitative revolution in geography. Meanwhile, critics believe that science, especially social science, serves some political purposes, including serving the established social order traditionally and enabling it to survive. Therefore, critical geography seeks to uncover alternatives to the dominance of the state and capital, whose features include inequality, crime, pollution, poverty, wars, marginalization, persecution of minorities, oppression of women, and others. Therefore, the research aims to clarify the impact of situational philosophy on geography and its reflections on the emergence of critical geography and to determine its relationship with critical social theory after defining their nature, along with identifying the geographical distribution of critical geographical intellectual output globally, and the main challenges facing this output. The legitimacy of the research stems from the necessity of following the recent changes in geography, directing the attention of specialists to these changes, and the possibility of examining, verifying, and applying them. This field of geographical research is scarce in the Arabic language, so it was necessary for its foundation to rely on foreign sources. Therefore, the research is considered one of the first preliminary attempts in the Arab world - to the best of the researcher's knowledge - to present the ideas of critical geography, which is a subject open to development, modification, and application.

Keywords: situational\ monetary\ phenomena\ geographical research.

ما هي الوضعية؟

وصفت الوضعية positivism بانها نظام فلسفي يدرك فقط تلك الظواهر التي يمكن ان تثبت علميا او التي مؤهلة للبرهان الرياضي او المنطقي. وهي تستلزم عمل تقييمات تجريبية تمتلك خاصية شبه القانون التي تتعلق بالظواهر التي تدرك تجريبيا. هذه المقاربات هي أساسية لما يعرف على نطاق واسع بـ (الطريقة العلمية scientific method).

ان أصل الوضعية كفلسفة راسخة بشكل جيد تعود إلى الفيلسوف الفرنسي اوغست كونت August comte 1857 – 1798 في القرن التاسع عشر غرضها الأساسي كان تمييز العلم عن الميتافيزيقيا والدين وعليه، الوضعية يمكن ان توصف بشكل أكثر دقة كونها حركة فلسفية تؤكد على العلم والطريقة العلمية كمصدر وحيد للمعرفة والتي تدرس بشكل مناقض تماماً للميتافيزيقيا والدين[1]. وكان كونت يعتقد بان طرق البحث في العلوم الطبيعية تعطي الفائدة نفسها عندما تطبق في دراسة الظواهر الاجتماعية. هذا يعني: بأن قوانين العلوم الطبيعية يمكن ان تطور في العلوم الاجتماعية، هذه القوانين (مثل القوانين في العلوم الطبيعية) تجهز العلماء الاجتماعيون بقاعدة للتنبؤ وهذه التنبؤات يمكن ان تستعمل في معالجة المتغيرات السببية مع النظر لإحداث التحسينات المرغوبة في المجتمع عبر التخطيط الاجتماعي – الاقتصادي[2]، وكان كونت قد قدم أفكاره في شكل محاضرات خاصة في شقته في باريس. هذه المحاضرات حضرها من بين أخرين الجغرافي همبولدت، محاضرات كونت نشرت في كتاب عنونه (Course de philosophie Positive) عام 1829.

الوضعية تتضمن قسمين رئيسين، هما الوضعية المنطقية Logical Positivism والعقلانية النقدية Critical rationalism. الوضعية المنطقية تنسب الى مجموعة فلاسفة عملوا في جامعة فيينا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. انها فلسفة تهتم بكسب المعرفة في شكل تعميمات عامة General statements يتم

تحصيلها بإجراءات مقبولة، حول الظاهرة القابلة للملاحظة. أن العناصر الاساسية للوضعية المنطقة هي[3]:

1. **النزعة العلمية Scientism:** وهو الادعاء بأن الطريقة الوضعية هي فقط الطريقة الحقيقية للحصول على المعرفة. الطرق الأخرى غير الوضعية أو غير العلمية تنتج معرفة لا معنى لها بسبب انها معرفة غير مثبتة.
2. **حرية القيمة value–freedom:** هذا المبدأ يعني بان الاحكام العلمية هي موضوعية ومستقلة عن الالتزامات السياسية والمزاجية.
3. **اهمال الميتافيزيقيا:** الميتافيزيقيا تعرف بانها تلك الاسئلة التي تبرز خارج الأسئلة الواقعية او العلمية حول العالم. هذا يتضمن الخبرات، المعتقدات، المعاني التي لا يمكن ان تكون عرضة للتحليل الوضعي.
4. **مبدأ الاثبات verification principle:** هذا ربما العنصر الاكثر اهمية للوضعية المنطقية اذ يرى بان كل المقترحات أو الفرضيات ينبغي ان تفحص، وكل التعميمات ضمن العلم ينبغي أن تثبت وتكون صادقة وبالتالي قابلة للقبول.

العقلانية النقدية، على الجانب الآخر، تغاير الوضعية المنطقية، ويمكن تتبعها في عمل كارل بوبير Carl Popper الذي حاجج ضد مبدأ الاثبات واضاف مبدأ الكذب أو التكذيب falsification principle، هذا يتوقف على تحدي الاثبات الكامل، وهذا يعني، انه على الرغم من ان المقترح لا يكون بشكل حصري قابل للأثبات انه يمكن ان يكون قابل للرفض. بهذا المنطق فان المقترح اذا لم يُكذَب فان التجربة مثبتة، لكنه لم يقوي صدقيتها Validity .

كفلسفة وطريقة بحثية فان الوضعية تطورت بالكامل تقريباً عبر جهود العلماء الطبيعيون Scientists natural من أجل تحسين بحثهم الخاص، وبهذا، فان تطبيق مبادئ الفكر الوضعي على العلوم الاجتماعية أصبح يعد مبدأ للنزعة الطبيعية naturalism، التي تعني ضمنياً امكانية الدراسة العلمية الطبيعية

للمجتمع a natural scientific study of society. ان المبادئ الاساسية لهذا المعتقد هي[4]:

1-كل الظواهر الاجتماعية المستلزمة قراراً بشرياً لها سبب معين للذي يكون محددا ومثبتا. هذا يعرف بمبدأ السببية Causation.

2-صنع القرار ينتج من تشغيل مجموعة من القوانين السلوكية التي يتماثل الافراد في المجتمع نحوها. هذا يسمى مبدأ السلوكية behaviorism التي تعني بأن حافزاً معيناً تحت ظروف معينة سينتج استجابة معينة(ولهذا فان السلوك يمكن التنبؤ به).

3-الواقع الاجتماعي هو واقع موضوعي يضم سلوك الأفراد ونتائجه، الذي يمكن ان يُلاحظ ويُسجل بطريقة موضوعية عبر استعمال إجراءات علمية مقبولة عالمياً. هذا يعرف بمبدأ الواقعيةrealism .

4-العالِم ملاحِظ نزيه يستطيع الوقوف خارج الظاهرة الاجتماعية ويقوم بالتحقيق فيها (على الرغم من لنه في حياته اليومية هو جزءاً منها). هذا يعرف بمبدأ الملاحظة النزيهة disinterested observation

5-المجتمع البشري مثل الكائنات الأخرى في الطبيعة هو كيان عضوي (يملك بنية محددة) التي تتغير بطريقة محددة، وفقا لقوانين معينة قابلة للملاحظة، هذا يعرف بمبدأ الوظيفية Functionalism، ويقتضي ضمناً بأن العناصر المختلفة في المجتمع تشغل موقعاً معيناً وتنجز وظيفة ضمنه.

6- ان قوانين ونظريات العلم الاجتماعي الوضعي يمكن ان تستعمل في صياغة (تشكيل) المجتمع بالاتجاه المرغوب أما عبر تغيير القوانين التي تشتغل في ظروف معينة أو عبر تغيير الظروف التي ستعمل فيها القوانين. هذا المبدأ يعرف بالهندسة الاجتماعية Social engineering.

الوضعية في الجغرافيا

هناك جهود كبيرة قد بذلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتطوير علم الجغرافيا. هذا كان بدرجة كبيرة بتأثير للدارونية التي نشّطَت العلماء للبحث في

القوانين الحاكمة للطبيعة، وفي المقدار نفسه علماء العلوم الاجتماعية لاكتشاف القوانين المحددة للتنظيمات الاجتماعية. وهذا قاد إلى مقاربة الفرضية الاستنتاجية (الاستدلالية) للدراسة التي تميز بشكل خاص العلوم الطبيعية، لتحل محل الطرق الاستقرائية في العلوم الاجتماعية. وعليه، هناك جهود لاستيعاب العلوم الاجتماعية ضمن إطار الوضعية. هنا يجب ان نشير الى ان التطورات الجغرافية التي حدثت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين التزمت الى حد كبير بالوضعية المنطقية، حيث عمل الباحثون على تطوير نماذج حول الواقع للذي من أجله استنبطوا مجموعة فرضيات تكون موثوقة / مثبتة أو مرفوضة عبر فحص البيانات التجريبية. الفرضية المثبتة تكون صادقة كقانون حتى ترفض عمليا من خلال بحث اضافي. الجغرافيا سريعاً اصبحت مقادة وضعياً Positivist–led وبالتالي قاد ذلك الجغرافيا البشرية بشكل خاص لتطوير وبناء نماذج لكونها تهتم بظواهر متشابهة مع الواقع زمانياً ومكانياً.

خلال خمسينات وستينيات القرن العشرين فان جوهر وغرض الجغرافيا الانجلو – أمريكية قد شهد تحولاً كبيراً بإحلال المقاربة التي تؤكد على التباين المكاني التي تبحث لاستكشاف نماذج البنية المكانية spatial structure. هذا التغير بدأ من قبل شافير schaefer بنقده لوجهات نظر كلنت Kant الاستثنائية kant's exceptionalist views التي جعلت التاريخ والجغرافيا كعلوم استثنائية ومختلفة عن العلوم النظامية الأخرى، كما انتقد ريتشارد هارتسهورن لكونه اهتم بالجغرافية الوصفية والإقليمية[5]. شافير وضع باراديم التنظيم المكاني spatial organization paradigm وتصور الجغرافيا كعلم مكاني واجتماعي يهتم بشكل خاص بصياغة القوانين التي تحكم التوزيع المكاني لاية ظاهرة كما هي موجودة على سطح الارض. هنا شافير أوجد نوعاً من الثورة في الجغرافيا التي هي أساساً ثورة نظرية وكمية theortical and quantitative. هذه الثورة في الجغرافيا تبحث في توفير مقاربة علمية بتطبيق المثودولوجيات الرياضية والاحصائية. أنها

قبلت عقائد وضعية الطرق العلمية الموحدة المقبولة لكل العلوم الطبيعية والبشرية[6].

ان الثورة الكمية التي اختبرتها الجغرافيا عبر تبني وجهات النظر الوضعية صيغت من قبل علماء الرياضيات بشكل كبير أي انها نتيجة تأثير غير الجغرافيين على الجغرافيا كما كان واضح في العديد من الحقول المعرفية الأخرى. وليم بونجي Wlliam Bunge في كتابه الجغرافيا النظرية theortical geography ذهب بعيداً لوصف الجغرافيا كعلم العلاقات المكانية والهندسة كرياضيات المجال mathematic of space. لذلك منطقيا، الهندسة يجب ان تكون لغة الجغرافيا.

لقد تبع تطور مفهوم المجال Space كمفهوم اساسي لتنظيم موضوع الجغرافيا مقاربتان، تم تمييزهما في دراسة الجغرافيا، تسمى[7]:

1- **التحليل المكاني spatial analysis:** يشير الى تطبيق الطرق الكمية وبشكل خاص الطرق والأساليب الاحصائية في التحليل المكاني.

2- **العلم المكاني spatial science** هذا المفهوم قريب جدا للفلسفة الوضعية وقدم الجغرافيا البشرية كعلم اجتماعي يركز على المجال space كمبدأ توجيهي لتنظيم وتشغيل المجتمع وسلوك الفرد.

هاتان المقاربتان المرتبطتان بالمجال قادتا إلى تطوير المظهرين الآتيين للمجال اللذان أصبحا الموضوعان المركزيان في الجغرافيا:

أ- **التفاعل المكاني spatial interaction:** هذا يشير إلى الاعتماد المتبادل بين الوحدات المكانية والى التفاعل بين البيئة والانسان ضمن منطقة معينة.

ب- **البنية أو التركيب المكاني spatial structure:** هذا يشير إلى الترتيبات/التنظيمات المكانية أو بشكل اكثر دقة التوزيع الهندسي لأية ظاهرة على سطح الأرض بسبب ان الهندسة اعتبرت كأداة هامة في الدراسات الجغرافية.

ان ما أحدثه التفكير الوضعي من تطورات كبيرة نحو اساسا فلسفي وميثودولوجي موحّد للمدارس الكمية قد قُدمت من قبل بيتر هاجيت Peter Haggett وريتشارد

جورلي Richard chorley ودىفيد هارفي David Harvey في ستينيات القرن العشرين[8].

ان التطور الأكثر أهمية المرتبط بشكل اساسي مع فلسفه الوضعية كان التحليل المكاني (الموقعي) لبيتر هاجيت للذي وضعه مبكرا في كتابه التحليل المكاني (الموقعي) في الجغرافيا البشرية عام 1965 Locational Analysis in Human Geography هذه المقاربة في الجغرافيا البشرية كانت أكثر شعبية كعلم مكاني يهتم باتباع التقليد الهندسي مع الترتيبات المكانية للظواهر على سطح الارض. بالإضافة الى ذلك، انها ايضا تتعلق بالتفاعل بين الاماكن ضمن توزيع مكاني معين، ودينامىكيات هذه التوزيعات، كذلك ايجاد توزيعات بديلة عبر بناء نموذج لتوفير امكانية افضل.

النموذج بشكل اساسي هو بنية مفاهيمية للواقع حيث تمثل خصائص معينة للواقع، ونظرية التناظر هي نظرية شكلية مرتبطة ببناء النموذج. النموذج أو التناظر يمتد من الفكرة المتبناة إلى الفرضية إلى القانون إلى النظرية. وتبعاً للرؤية الوضعية فان النماذج يمكن ان يستعمل كدليل لصدق مجموعة الفرضيات عبر الاختبار التجريبي لأنشاء نظرية حيث تحتوي بعض التشابهات مع الواقع. على الرغم من ان بناء النموذج قد استعمل في العديد من العلوم منذ زمن طويل لكن استعماله في الجغرافيا هو حديث نسبياً ويمكن أن يعزى إلى الوضعية كلنت نظرية المكان المركزي Central place theory من قبل اوغست لوش Augut Losch عام 1954 نموذج الجاذبية Gravity Model من قبل ستيوارت ووارنتز عام 1959 Stewart and warrants, او نظرية الانتشار Diffusion theory لهاجرستراند عام 1953 Hagerstand كلها تمت صياغتها باستعمال التحليل المكاني (الموقعي)[9].

المفهوم الآخر المرتبط بأصالة مع الوضعية هو مفهوم النظام Concept of systems. النظام يمكن ان يعرف كـ(ترتيب لكينونات (عناصر) لها علاقته معينة

فيما بينها وكذلك مع بيئتها. ريتشارد جورلي كان أول الجغرافيين الذي أدخل نظرية النظام العامة في الجغرافيا. وورقته البحثية الموسومة (الجيومورفولوجيا والنظرية العامة للنظم عام 1962 Geomorphology and General system Theory قد أدرجت ضمن اطار منهج النظم التي حاول فيها تطبيق مفهوم النظم المفتوحة والمغلقة في الجيومورفولوجيا.

المساهمة الرئيسية للنظرية الوضعية كانت قد تمت من قيل ديفيد هارفي في كتابة 1969 Explanation in Geography اذ اشار الى ان المواقع عبارة عن مجموعة من الظواهر المعقدة وانه من الممكن فك شفرات هذه التعقيدات بمساعدة تحليل النظام ... وكل نظام يفترض لنه يملك ثلاثة خصائص: بنية structure ووظيفة function، وتطور development. بنية للنظام هي مجموعة العناصر التي تشكله والعلاقات بين هذه العناصر، الوظيفة هي التبادل exchange أو للتدفق بين العناصر، بينما التطور يعني التغير في بنية ووظيفة النظام عبر الزمان[10].

بسبب ان الجغرافيا تدرس العلاقة بين الأنسان والبيئة, فان تحليل النظم يفترض انه يملك مدى واسع من التطبيقات لاسيما في الجغرافيا البشرية. وهذا بسبب ان تحليل النظم أقيم على افتراض مطلق الفلسفة الوضعية ورسم تناظرات بين المجتمعات الانسانية من جهة والظواهر الطبيعية من جهة اخرى[11].

ضرورة الوضعية للجغرافيا

كان تحول الجغرافيا نحو أساليب القياس الكمي الذي يمكن أن يعد مرادفاً للوضعية باعتبارها أدت إلى أن تكون الجغرافيا حقلاً معرفياً علمياً بعد إن كان ميداناً للوصف والثقافة العامة. كان هذا التغيير ضرورياً لأغراض متعددة:[12]

أ. بعد الحرب العالمية الثانية واجهت الجغرافيا أزمة عميقة بحيث قادت إلى أن تغلق بعض الجامعات أقسام الجغرافيا فيها ومنها جامعة هارفارد في الولايات المتحدة. عند هذا المنعطف كان التغيير في طريقة دراسة الموضوع حاجة ملحة،

وكان المطلب آنذاك هو اعتبار الجغرافيا علماً يمكن ضمان دراسته في الجامعات بالجدية المناسبة.

ب. يجب أن تستحق الجغرافيا الاحترام كعلم ليس فقط في الحرم الجامعي بل في المجتمع أيضاً.

ج. بعد الحرب العالمية الثانية، رأى الجغرافيون أن الموضوع كان يفتقر إلى النظرية القياسية والقوانين والنماذج وما إلى ذلك. ولم تكن المواضيع الأخرى مثل علم الاجتماع، وعلم الأحياء، وما إلى ذلك، تفتقر إليها؛ ولم يتمتع الجغرافيون بأي أهمية اجتماعية. وفي مثل هذه الظروف بدا أن الدراسة والبحث الجغرافي يجب أن يكون له منهج علمي وأن يرتكز على قاعدة نظرية متينة.

د. اعتبرت الجغرافيا غير علمية لأن أسلوب دراستها كان وصفياً بطبيعته. ولا يمكن أن تقدم تفسيراً مرضياً للتفرد الإقليمي أيضاً، ولم يكن التفسير ممكناً بسبب عدم كفاية النظريات أو القواعد أو النماذج القياسية.

ه. ظلت الدراسات والأبحاث الجغرافية مقتصرة على الكتب ولم يكن هناك مجال لاستخدامها العملي في الحياة الاجتماعية.

و. كان لدى للناس ارتباك بشأن الفئة التي تنتمي إليها الجغرافيا، لذلك كان من الضروري أن يُذكر بوضوح أن الجغرافيا تنتمي إلى مجال العلوم.

نقد الوضعية

إن رفض الفلسفة الوضعية للميتافيزيقيات وفَّر أساساً فلسفياً وعلمياً وميثودولوجياً صلباً لحقل الجغرافيا. فالمعرفة – كما ترى الوضعية – المقامة على ملاحظات الأوضاع الواقعية التي يمكن أن تثبت تجريبياً بسهولة تكون موضوعية، غير متحيزة، غير متحاملة، وتكون جاهزة للاستعمال في صياغة القوانين والنظريات الشاملة. الوضعية شجعت استعمال الأساليب الإحصائية والرياضية التي وفّرت دقة في البحث ومكنَّت من تحليل النظام الجغرافي بشكل أكثر بساطة بكثير.

إن الجغرافيا التي تطوّرت بتبني المبدأ الوضعي أكدت على تحليل البيانات المكانية وطوّرت نظرية مكانية قائمة على النماذج الرياضية المفحوصة تجريبياً. على أي حال، في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، تزايد عدم الرضا بين الجغرافيين عن الوضعية بسبب للتأكيد المفرط على وجهات النظر المكانية. وبحثوا عن اكتشاف مقاربات بديلة للمشاكل الجغرافية.. إذ اعتقدوا بأن الجغرافيا (البشرية) تستخدم وجهة النظر المكانية كتقديس أعمى fetishism للذي يُبعد ويُحول ويعزل القضايا الاجتماعية الأساسية. ولهذا السبب حتى ديفيد هارفي في الأخير ابتعد عن الوضعية ليركز على قضية التوزيع الاجتماعي. إن نقد الوضعية كان حاداً ومقنعاً لأسباب عدة[13]:

1. الوضعية أوجدت إحساساً كاذباً بالموضوعية Objectivity. أن النماذج التي تُبنى باستعمال الأساليب الإحصائية التي اعتبرت كأداة فعالة لبناء النظرية كانت عملياً انحرافاً للملاحِظ عن الظاهرة الملاحَظة وذلك بإعطاء بروزاً أكثر لبعض العناصر وإهمال أخرى، ولهذا فقد اعتبرت غير مناسبة بشكل إجمالي للبحث الجغرافي وأيضاً يعود إلى عدم إمكانية إعادة التجارب والبيانات.
2. باستخدام الأساليب الإحصائية فإن الوضعية تتجاهل بشكل كبير الاهتمامات الإنسانية والاجتماعية وقلصت الجنس البشري كصناع قرار أو عاملين إلى فواعل سلبيين passive agents فحسب هذه النماذج غالباً ما تكون محصلة للحتمية الاقتصادية.
3. الوضعية تصف الوضع الواقعي الموجود وعليه فإنها تشجع الحفاظ على الوضع القائم status quo في المجتمع وبشكل خاص ما يتعلق بتوزيع الرفاهية.
4. بسبب أن الوضعية استثنت القضايا المعيارية فإنها قد جردت المجتمع الإنساني من النواميس norms والقيم values التي نُظّم على أساسها. بتعصبها المفرط للقضايا التجريبية-فأنها في بعض الأحيان تهمل العديد من التعميمات النوعية

qualitative statements التي لها بطريقة أخرى فعالية مثبتة في توصيف الكينونات الإقليمية regional entities.

5. الوضعية حاولت بناء نظريات ذات قبول عالمي بالتحرك من الخاص إلى العام الذي قلص الصدقية في العالم الواقعي بسبب الخصوصية المكانية للبيانات الجغرافية مما قاد إلى التعميم المفرط overgeneralization.
6. إن وفرة قواعد البيانات الكثيفة التي يمكن الاعتماد عليها كان شرطاً مسبقاً مهماً لتطبيق الأساليب الإحصائية في الجغرافيا، وفي غيابها فأن النظريات، والنماذج المطوّرة ترسم صورة مشوّهة وغير صحيحة للواقع.
7. بعض الجغرافيين سخِروا من تقليد العلم المكاني – الوضعي في الجغرافيا وحتى تحدوا أساسه الميثودولوجي ككل، إذ جادلوا بأن العلم المكاني مع الهندسة كونها لغته لم يكن مناسباً لتحديد المشاكل الجغرافية. فقد تم تقليص الجغرافيا إلى مزيج غير متجانس للنماذج المكانية التي لم تعطي عملية فهم للجغرافيا أو تحديد هدف نظري لها. من ناحية أخرى، فإن فصل تطور الجغرافيا الطبيعية عن البشرية أيضاً نحت من إمكانية وحدة الموضوع. ففي أغلب الأوضاع قلل الجغرافيون البشريون إلى حد كبير من دور البيئة بينما حاول الجغرافيون الطبيعيون تطوير نظريات منفصلة عن الحاجات الاجتماعية والإنسانية.

إن نقد الوضعية أعاد إحياء المسؤوليات والأسس الاجتماعية للعلوم الاجتماعية التي يعود لها ذهاب الجغرافيا الى التضاد مع الوضعية anti–positivism، والذهاب إلى الثورة النقدية critical revolution في سبعينات القرن العشرين. أن جزءاً كبيرة من المقاربة الإنسانية humanistic approach كان لمقاومة أو الاحلال محل مفهوم العالم الموضوعي (المدرك بالحواس) الذي تم التركيز عليه من قبل البارادايم الوضعي positivist paradigm.

تعريف الجغرافيا النقدية

لوحظ في منتصف الى أواخر سبعينيات القرن العشرين صعود نقد الثورة الكمية وتبني المقاربة الماركسية. لما الثمانينيات فقد تميزت بصدوع بين الاتجاهات الإنسانية، والانثوية، والماركسية وفي أواخر الثمانينيات برزت الجغرافية النقدية وأصبحت بالتدريج حقل يحمل هوية ذاتية، يُجسُر الاختلافات بين المقاربات المختلفة التي تواجدت من وقت مبكر.

أن معنى النقدي لم يشتق من تقليد tradition الجغرافيا نفسه، لكن يُعزى إلى نظرية اجتماعية أوسع، فهي تبدأ بنقد الاتجاه السائد في الجغرافية أي تطور المظاهر المكانية للنظريات الاجتماعية النقدية لذلك ينظر الى الجغرافية النقدية بشكل متزايد على أنها حركة عالمية تفسر الجغرافيا كتطبيق اجتماعي نقدي.

أن الجغرافية النقدية هي مصطلح يشكل مظلة لجغرافيات الماركسية، والانثوية، والاعاقة، والاخضر، وما بعد الحداثة، وما بعد الكولونيالية والشذوذ التي تكون حقلاً معرفياً يسارياً كبيراً وديناميكيا[14].

ويصف J. Painter الجغرافيا النقدية بأنها:[15] تغير سريع ومتنوع لمجموعة من الافكار والممارسات ضمن الجغرافيات (البشرية) مرتبطة بالتزام مشترك لعتق السياسة ضمن وعبر العلم لتشجيع التغير الاجتماعي التقدمي ولتطوير مدى واسع من النظريات النقدية وتطبيقها في البحث الجغرافي والممارسة السياسية.

الموضوعات المشتركة للجغرافيا النقدية

نظراً لكونها نتيجة لتحولات ما بعد الحداثة فان الجغرافيا النقدية، كما يرها البعض تمتلك ابستمولوجيا، وأنطولوجيا، وميثودولوجيا متنوعة، وبالتالي لا تمتلك هوية نظرية مميزة، ومع ذلك، فقد استطاع Blomley وضع ستة موضوعات themes مشتركة للجغرافيا النقدية[16]:

1- الالتزام بالنظرية ورفض التجريبية: الجغرافيون النقديون يستمدون بحوثهم من منابع نظرية متنوعة مثل الاقتصاد السياسي، والنسوية، ومعاداة العرقية، ومعاداة الامبريالية.

2- التعهد بكشـــف العمليات التي تنتج عدم العدالة: الجغرافيون النقديون يحاولون كشف النقاب عن طبيعة السلطة power، وعدم المساواة والمقاومة resistance وتشجيع السعي إلى تحرير السياسة والتغيرات الاجتماعية.

3- التأكيد على التمثيل كوســائل للهيمنة والمقاومة: التركيز العام للجغرافيا النقدية هو دراسة كيف ان تمثلات المجال representations of space تديم السلطة/ القوة (Power)، أو على العكس، كيف ان تمثلات المجال يمكن ان تســتعمل لتحدي السلطة.

4- الإيمان المتفائل في قوة العلم النقدي: يعتقد الجغرافيون النقديون بان العلم يمكن ان يستعمل لمقاومة هيمنة التمثلات، والعالِم يستطيع ابطال سلطة الهيمنة ويحرر المقموعين. هناك ثقة ضــمنية في قوة العلم النقدي لبحث الجهل والوصــول إلى الجاهل، وفي قدرات الناس على هزيمة الاغتراب بوسائل التعليم الذاتي.

5- الالتزام بالممارســات التقدمية: يريد الجغرافيين النقديون ادراك صــنع التمييز/ الاختلاف لهذا هم يدعون ليكون موحدين مع الحركات الاجتماعية والنشــطاء activists مع التعهد بالعدالة الاجتماعية. ان العلاقة بين الجغرافيا النقدية وممارسات النشطاء نوقشت كثيراً.

6- فهم المجال كأداة نقدية: يوجه الجغرافيون النقديون انتباهاً خاصــاً إلى كيف ان التمثلات والترتيبات المكانية يمكن ان تستعمل لإنتاج القهر وعدم العدالة. ويميز الجغرافيون درجات متباينة كيف ان المجال space يمكن ان يســتعمل باتجاهين كونه شراً وكونه اداة للقوة.

مأسسة الجغرافيا النقدية

كان الجغرافيون النقديون يخشــون ايجاد مؤســســة للجغرافية النقدية خوفاً من ان تحصــر نفســها في المجال الاكاديمي مثل الجمعيات الجغرافية، لكنهم كما يبدو، اضــطروا الى هيكلية من نوع ما ســميت (المجموعة العالمية للجغرافيا النقدية international Critical geography group ICGG) وهي شبكة من الجغرافيين

والآخرين ممن تعلهدوا على تطوير الجغرافيا النقدية والراديكالية ضـــمن المجال الاكاديمي وخارجه. يعمل الجغرافيون النقديون عبر البحث وللتدريس والاشـــكال الأخرى من النشـــاط , على تطوير المعرفة والفهم الذي يمكن ان يســـاهم في الكفاح ضـــد الاســـتغلال exploitation والقهر oppression وتشـــجيع التغير الاجتماعي social change.

ان الاصـــول المباشـــرة للمجموعة العالمية للجغرافيا النقدية ICGG تقع في مؤتمر عقد في فانكوفر بكندا آب/ أغســـطس 1997. هذا المؤتمر العالمي الافتتاحي للجغرافيا النقدية نُظم من قبل جغرافيين يعملون في جامعة كولومبيا البريطانية (كندا) وجامعة سايمون فريزر مدعوماً من قبل المجموعة غير الرسمية للاتصالات العالمية Contacts international. وكان المؤتمر يضـــم افراداً من اســـتراليا، واسيا، وأوربا، وامريكا الشمالية وجنوب افريقيا وغيرهم اخرون وقد توج المؤتمر في فانكوفر بلقاء مفتوح لمناقشة المستقبل.

متطوعون من بين المشـــاركين في المؤتمر دُعيوا لأخذ التصـــدر في تطوير شـــبكة عالمية للجغرافيين النقديين والتخطيط لأنشـــطة أخرى. وتم تشـــكيل لجنة قيادية من ممثلين من (12) دولة من خمس قارات. عضوية لجنة القيادة تُراجَع دورياً وتُوسَع لتضـــم عدداً اضـــافياً من الاعضـــاء. وفي عام 1999 صـــاغت لجنة القيادة بياناً أو تعميماً ادرجت فيه غرض المجموعة العالمية للجغرافيين النقدية statement of purpose ونشـــر للبيـــان في مجلـــة للبيئـــة وللتخطيط/ للمجتمع وللمجـــال Environment and planning D: society and space. كما تم انشاء موقع للمجموعة ICGG على الشبكة العالمية website [17].

وجاء في البيان التأسيسي للمجموعة العالمية للجغرافيا النقدية الآتي:

– تتألف المجموعة العالمية للجغرافيا النقدية من جغرافيين وآخرين عاملين في مجالات أخرى يجمعهم الالتزام بتطوير النظرية والممارســـة الضـــرورية لمحاربة الاستغلال الاجتماعي والقمع. نحن نؤمن بأنه كما تعبر جغرافيا العالم عن الجوانب

المتعددة للعلاقات الاجتماعية، يتطلب تغيير هذه العلاقات الاجتماعية أيضـــا إعادة تشكيل الجغرافيا المحلية والعالمية بشكل دراماتيكي.

– نحن «ننقد» لأننا نطـلب ونحارب من أجل تغيير اجتماعي يســـعى نحو تفكيك أنظمة الاســتغلال الرأســمالية، والقمع القائم على أســاس الهوية الجندرية والعرق والهوية الجنسية، والإمبريالية، والشوفينية القومية، والدمار البيئي.

– نحن ننقد لأننا نرفض الانعزالية التي تتصف بها معظم أشكال البحث الأكاديمي، ولأننا نؤمن بأن العلوم الاجتماعية هي ملك للناس وليس للجامعات التي بلتت تتحول أكثر فأكثر إلى مؤسسات ربحية.

– نحن ننقد، لأننا من خلال محاربة الأنظمة الحالية القائمة على الاستغلال والقمع، نصـــبح جزءا من الحركات الحالية غير الأكاديمية التي تهدف إلى التغيير الاجتماعي.

نحن ننقد لأننا نسعى إلى بناء مجتمعات بديلة، تفخر بالتعددية الاجتماعية، وتتيح في ذات الوقت الفصـــل بين هذه التعددية والطموح الاقتصـــادي والاجتماعي للأفراد والمجموعات.

– نحن «عالميون»، لأننا نؤمن بأن التفريق بين الجماعات التي تحركها هموم مشتركة كان ممكنا لمدة طويلة بحجة الاختلافات القومية.

– نحن عالميون لأن الأنظمة الاجتماعية وتجارب الاستغلال والقمع كما يعبر عنها الاحتفال «بالعولمة» هي ذاتها عالمية.

– نحن عالميون لأننا متعددون ثقافيا.

– نحن عالميون لأننا نريد هذا العالم.

– نحن نحقق عالميتنا في النقد من خلال (الجغرافيا) لأننا نؤمن بأن الجغرافيات الواقعية تعكس وتطبِّـــــــع اللا مســـاوة الاجتماعية، تماما كما تشـــكل الأنظمة الاجتماعية العالم الجغرافي في صورتها.

- نحن نـلقدون وعـالميون كجغرافيين لأن هذا المجـال خـدم لفترة طويلـة غـليات كولونيالية، وامبريالية، وقومية من خلال انتاج خطاب ايديولوجي سـاهم في تطبيع اللامساواة الاجتماعية.
- نحن نعمل كجغرافيين لأننا نؤمن بأن معرفة العالم بتفاصيله واختلافاته الجغرافية من المســـتوى المحلي حتى العـالمي، هو مفتـاح جوهري في مواجهـة القوى السياسية.
- إننا نعمل كجغرافيين لأن بناء مجتمع بديل يعني حتما بناء نســـيج اجتماعي، وسياسي، واقتصادي جديد من أمكنة محلية وعالمية.

تسعى مجموعة الجغرافيا العالمية النقدية للجمع بين مفكرين، وباحثين، ونشطاء من جميع أنحاء العالم من الذين تتلاقى أفكارهم مع هذا الالتزام الواسع الطيف، والواعد بالتغيير الاجتماعي – الجغرافي. ســـوف نلتقي بانتظام في أمكنة مختلفة وبشـــكل دوري، وستكون لقاءتنا بعيدة عن شكل المؤتمر الأكاديمي وأقرب لفكرة ورشة عمل تستخدم نماذج مختلفة. نحن نشجع بشدة التنظيم المحلي والمناطقي لورشات العمل والمؤتمرات والمجموعات المرتبطة بالمجموعة العالمية للجغرافيا النقدية، باعتبارها لبنات بناء لأجندة عالمية. عالم لنظفر به يحمل بالتالي معني ثلاثيا: فهو يعبر عن طموحنا السياسي بمفردات جغرافية، وهو يشير إلى الاتساع العالمي لهذا الطموح، كما لأنه يؤكد بشـــكل واضـــح بأن تغيير هذا العالم يتطلب الكثير من العمل ولكن النصر متاح لمن يريد الفوز به.

جغرافيات الجغرافيا النقدية

تمتلك الجغرافيا النقدية جغرافياتها للإنتاج والتوزيع. فهناك اختلافات جوهرية بين أنواع من البحث الجغرافي العالمي التي يتم إنجازها، ومكان الباحثين المنجزين ذلك العمل. هنا نقدم خصـــائص الجغرافيات المختلفة للبحث العالمي النقدي من خلال توزيع وحركة الباحثين[18].

1- العمل المنجز من قبل علماء مرتحلون من الجنوب العالمي

ان احدى اكثر الطرق قوة التي بها العالِم الجغرافي النقدي يمكن ان يتجاوز بعض تحديات الفهم الدخيل او الغريب outsider للنصوص الأجنبية هو عبر عمل العلماء الذين هاجروا الى المتروبول Metropole – الدول الرأسمالية المتقدمة – مستعملين مفهوماتهم التجريبية لمواقع في الجنوب العالمي Global South، بجلنب مهاراتهم اللغوية وقدراتهم لقراءة الفوارق الثقافية لتوفير تفسيرات مستمدة من مصدر مطلع او موثوق insider. الجغرافيا استفادت كثيرا من تدفقات هؤلاء العلماء في العقود الحديثة.

ان تأثير او فضيلة مثل هذه المنظورات ذات الاطلاع الداخلي insider، ليس جلياً أو لا لبس فيه. مثلا، ان رؤية علماء الجنوب لمصالح الطبقة العاملة، والنساء، والمجموعات الأخرى الأقل حظاً في الجنوب العالمي، رؤية جزئية. على لية حال، ان عمل العلماء المرتحلين من الجنوب فتح افاقاً هامة ضمن الجغرافيا الانجلوفونية حول حقائق اجتماعية – مكانية في أجزاء أخرى من العالم.

2- العمل المنجز من قبل علماء الميتروبول حول الجنوب العالمي

ان التقليد الثابت ضمن الجغرافيا النقدية هو ان العالِم من الميتروبول يسافر للخارج ليستنطق نقديا حقائق الظواهر مثل التنمية في الجنوب العالمي. ان هذا التقليد، ضمن الجغرافيا النقدية الانجلوفونية، مفعم بالحيوية لعدة عقود سابقة من قبل عدد كبير من العلماء من المؤسسات الاوربية والأمريكية الشمالية.

ان مصادر القوة المحتملة لهذه الثقافة الميتروبولية لا يمكن ان تكون منفصلة عن ظروف تمكينها الأساسية المتمثلة في التنمية غير العادلة وتوزيع الموارد. ان إمكانات الشمال العالمي Global North لتوسيع التدريب – في نظرية ومعرفة العلم، واللغات، وتقنيات البحث وما شابه ذلك – يخلق ظروفاً فيها هؤلاء العلماء ينشغلون في تطوير البحوث حول مجالات الاهتمام ضمن الجنوب.

3- العمل المنجز من قبل علماء الجنوب العالمي العائدين من رحلة في الشمال العالمي

ان أحد أكثر لشكال الثقافة العالمية خصباً واهتماماً تاريخياً هي تلك التي أنجزت من قبل المثقفين الثنائي اللغة bi-lingual من الجنوب العالمي، الذين تدربوا في مدارس قوى الميتروبول ثم غادروا للجنوب منفعلين بالافكار الاستعمارية التي حولوها بالتالي ضد المستعمِرين colonizers. هذا كان اصل أساسي للقومية المضادة للاستعمار، وذلك بسبب الطرق التي تمكنهم من استنطاق إضافي للافكار المستوردة من الشمال العالمي الى الجنوب العالمي وذلك لتطوير المواجهة مع الفوارق اليومية للوقائع الاجتماعية في الجنوب. هنا الجغرافيا النقدية استفادت من الحضور الثقافي لهولاء العلماء العلئدين، لكن من غير المرجح ان يقوم هؤلاء بإنتاج اعمال تتم قراءتها ومعترف بها في عالم الشمال بشكل منتظم.

4- العمل المنجز من قبل علماء العولمة والامبريالية

الفئة الأخيرة هو العمل المنجز من قبل العلماء للذين يتحركون عبر الحدود من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال متتبعين ظواهر مثل العولمة وانبعاث الامبريالية الامريكية. هذه الفئة تتجاوز انتقاد الفئات الاخرى وتتضمن أغلب عمل العلماء الذين تمت الإشارة لهم، لكن يتضمن أيضا العمل الحديث من قبل جغرافيين مثل ديريك جريجوري Derek Gregory، ديفيد هارفي David Harvey، مايكل واتس Michael watts، جون اجنيو John Agnew، ريتشارد بيت Richard Peet، وكذلك العمل المهم حول الظاهرة للتاريخية للعولمة من قبل نيل سميث Neil Smith. وبعيدا عن حقيقة ان تطور عولمة رأس المال أوجدت هذه الضرورة البحثية، فإن ظواهر مثل الهجرة المتزايدة من الجنوب الى الشمال أيضا زادت بروز الجغرافيات النقدية التي تستوجب الحركة عابرة القومية اكثر من مجرد العمل ضمن مواقع في الجنوب. مثل هذا البحث اذا تم عمله بشكل جيد فلنه ينتج جغرافيات يمكن الاعتماد عليها للعولمة. ولأجل هذا فان وضع الباحثين في موقع مميز وقدرتهم على بناء مختلف الحوارات والمشاركة فيها يبدو امرا بالغ الأهمية.

نقد وتحديات الجغرافيا النقدية[19]

1- أصبح واضحاً بان معنى الجغرافيا النقدية يختلف من مكان الى اخر. بكلمات أخرى، هناك جغرافيات للجغرافيا النقدية. منذ فترة طويلة نسبيا هناك تقاليد جيدة للجغرافيا النقدية في كندا، وفرنسا، اليابان، أمريكا اللاتينية، اسكندنافيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة من بين دول أخرى تحترم وتدعم هذه التقاليد.وفي العديد من الاماكن الأخرى فان تطور الجغرافية النقدية أكثر ضعفاً. ربما تكون القضايا السياسية احدى العوامل الاساسية لهذا التباين في الجغرافيا النقدية.

2- يرتبط بالتحدي الاول هو مسألة اللغة. ففي مؤتمرات مجموعة الجغرافيا النقدية للعالمية (ICGG) international Critical Geography Group تهيمن اللغة الانكليزية عليها بشكل كبير كوسيط اساسي للاتصالات. وهي مشكلة يتعذر اجتنابها

3- هناك ايضاً قضية المشروع السياسي للجغرافيا النقدية. فمن جهة، هناك مصلحة ان لا تصبح مؤتمرات مجموعة الجغرافيا النقدية العالمية ICGG منتدى أكاديمي فحسب غير قابل للتمييز عن اللقاءات الجغرافية العالمية الأخرى. ومن جهة اخرى،فان بعض الجغرافيون النقديون يعملون في ظروف صعبة لهذا فان المشاركين في المجموعة اعلاه يعملون دائماً ضد عزل العمل الأكاديمي عن الأنشطة والنضالات السياسية الأخرى، وهذا يستلزم العمل مع المشاريع السياسية والحركات الاجتماعية بشكل مباشر، وهو يمثل مدى واسع جداً لتطبيق العمل الجغرافي

4- تحدي آخر يواجه الجغرافية النقدية هو ما يتعلق بمأسسة institutionalization الجغرافيا النقدية. فالبعض يرى المأسسة كنتيجة طبيعية للقدرة التحليلية للجغرافيا النقدية، بينما آخرون يتخوفون من ان تؤدي المأسسة الى توقف التعاون بين الجغرافيون النقديون وغيرهم في العلوم الأخرى والنشطاء السياسيون وحصرها في المجال الأكاديمي.

هل يمكن تجسير الفجوة بين الوضعية والنقدية؟

ظهرت الجغرافيا الكمية – التي تستخدم الأساليب الإحصائية والرياضية – والتي تبنتها الفلسفة الوضعية كممارسة جديدة في الجغرافيا في الخمسينات والستينات من القرن العشرين من خلال حركة يشار اليها الان باسم الثورة الكمية. ولكن منذ أوائل سبعينات القرن العشرين، تم تحدي المباديء المعرفية للجغرافيا الكمية من خلال عدة جولات من الانتقادات من قبل الجغرافيين النقديين، وخاصة الجغرافيين الانسانيين، والماركسيين , والنسويين , وما بعد البنيويين وما بعد الاستعماريين، والمناهضين للعنصرية. ومع اعتماد وجهات النظر النقدية والمناهج النوعية على نطاق واسع في الجغرافيا المعاصرة، فان استخدام المناهج الكمية لمعالجة اجندة البحث النقدية غالبا ما يتم التعامل معه بالشك او حتى الازدراء من قبل الكثيرين في البيئة الفكرية الحالية للجغرافيا، وربما ليس من المبالغة القول ان العديد من الجغرافيين يعتقدون الان ان الثورة الكمية قد انتهت منذ فترة طويلة وان الجغرافيا الكمية في حالة احتضار[20].

لكن خلال التسعينات شهدت الجغرافيا الكمية انتعاشا، وكان الدافع الأساسي للنهضة هو التوسع في التطبيقات الجيوتقنية مثل نظم المعلومات الجغرافية GIS، والنظام العالمي لتحديد المواقع GPS، والاستشعار عن بعد RS [21].

من ناحية أخرى، فلنه على الرغم من ان الكثيرين شككوا في مدى كفلية وكفاءة الأساليب الكمية لمعالجة القضايا ذات الاهتمام في المجالات الجغرافية النقدية مثل العدالة الاجتماعية وعدم المساواة، فقد جادل الكثيرون بان القياس الكمي يمكن ان يقدم مساهمات غنية لفهم هذه القضايا ومعالجتها[22].

كما ان هناك من يدعي بأن نظم المعلومات الجغرافية ترعلها الشركات وللدول وتستخدمها على نطاق واسع لتحقيق الربح والسيطرة، ولكن علماء نظم المعلومات الجغرافية النقديون يطمحون الى تغير الوضع الراهن. وقد أظهروا لنه حتى في الوضع الراهن فقد تم استخدام نظم المعلومات الجغرافية خارج سياقات الشركات

والحكومة، مثلا تم استخدام نظم المعلومات الجغرافية كاداة تحليلية في الأبحاث النقدية حول الرأسمالية، كما اصبح رسم الخرائط المضادة بمثابة استراتيجية للمقاومة والتمكين ما بعد الاستعماري[23].

على الرغم من ان هذه التطورات الأخيرة قد أبعدت الجغرافيا الكمية عن المبادئ الوضعية، وبالتالي تبدو مفيدة في سد الفجوة بين الكمية والنقدية في الجغرافيا، فان المحاولات الأخيرة لفصل الوضعية عن المنهجيات الكمية لا يبدو انها ناجحة تماما، اذ لا يزال العديد من الجغرافيين النقديين ينظرون الى الجغرافيا الكمية باعتبارها مسعاً وضعياً وتجريبياً الى حد كبير. يمكن ان يعود ذلك جزئياً الى الوجود الحقيقي او المتخيل لنوع الجغرافيا الكمية التي تم تطويرها وممارستها في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين في الابحاث الجغرافية المعاصرة. كما يبدو ان هناك سببا اخر لصعوبة التوفيق بين الجغرافية النقدية والجغرافية الكمية ينبع من سياسات الهوية في الجغرافيا حيث أدت الخلافات بين وجهات النظر النظرية النقدية النوعية والتحليلية الكمية على مدى عدة عقود الى تعزيز وتصلب المنظور النقدي/ الكمي[24].

لعل من الضروري الإشارة إلى ما أصبح يعرف الآن بالذكاء الاصطناعي ARTIFICIAL INTELLIGENCE (AI)الذي يمكن أن نعده الموجة للثالثة من الثورة الكمية في الجغرافية بعد تطبيق الأساليب الإحصائية والرياضية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين كموجة أولى، وتطبيق الجيوتقنية في تسعينيات القرن العشرين كموجة ثانية.

ليست خاتمة

تؤمن الوضعية بسيادة العلم... وقد أدت دراسة العلم إلى فهم القوانين الطبيعية، وهذا الفهم سمح للمجتمع، بتوجيه من العلماء، بتعديل الطبيعة، عبر إدخال عناصر معدلة. ويعتقد كونت إن الأساليب العلمية يمكن تطبيقها على دراسة الظواهر الاجتماعية وهذا يعني إنه يمكن تطوير القوانين الطبيعية في العلوم الاجتماعية،

وهذه القوانين الطبيعية توفر الأساس للتنبؤات، ويمكن تحقيق هذه التنبؤات من خلال التلاعب بالمتغيرات المسببة لتغيير طبيعة المجتمع. إن معرفة القوانين الطبيعية المتعلقة بالظواهر الاجتماعية تُمكّن من تحسين تنظيمه الذاتي وعليه فإن الجغرافية الوضعية لا تساعد على تنظيم المكان وإنما المجتمع أيضاً، وهذا يعني إنه يمكن إقامة تنظيماً مكانيا – اجتماعياً نافعاً[25]. لكن واجهت الوضعية موجات من الانتقادات والمشاكل منذ سبعينيات القرن العشرين، وقد تم تجميع مشاكل المناهج الوضعية للجغرافيا في فئتين[26]:

- **الأولى:** هل المفهوم الوضعي هو المدخل الوحيد للمعرفة؟ هل تقدم الوضعية حلولاً عقلانية للمشاكل الاجتماعية؟ وهل الوضعية خالية من القيمة؟
- **الثانية:** هل الخبرة (المبنية عبر التجربة) هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة؟ هل البيئة الظواهرية هي المصدر الوحيد للأدلة للتفسير؟ هل التفسير ممكن؟ هل النماذج الآلية صالحة الدراسة البشر؟ هل السيطرة الاجتماعية عن طريق العلم أمر مرغوب فيه؟

وهنا يمكن ذكر ما جاء في الاجتماع السنوي لعام 2007 لجمعية الجغرافيين الأمريكيين AAG في سان فرانسيسكو حول كيف يمكن أن نستكشف أن المناهج النقدية النوعية والتحليلية الكمية أن تثري بعضها البعض وكيف يمكن استخدام الأساليب الكمية لمعالجة قضايا الجغرافية النقدية، وتجسير الفجوة بينهما.

هنا تم طرح الأسئلة الآتية[27]:

1- إلى أي مدى يمكن إيجاد جغرافيا كمية جديدة مبنية على نظرية اجتماعية أو ثقافية نقدية؟
2- ماهي الطرق التي يمكن بها استخدام الأساليب الكمية في البحوث المستوحاة من النظرية الاجتماعية النقدية؟
3- كيف يمكن للجغرافية الكمية أن تأخذ في الاعتبارات تجارب الناس الحياتية؟
4- كيف يمكن أن تكون السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المقدمة في التحليل الكمي؟

5- كيف يمكن للجغرافيا الكمية أن تأخذ في نظر الاعتبار وضع الباحث ومكانته وبحثه؟
6- كيف يمكن ممارسة الانعكاسية reflexivity – أي السبب يكون نتيجة والنتيجة سبب؟ وكيف يمكن توضيح ذلك في البحوث والمنشورات؟

أخيراً، إن بناء الجغرافية النقدية العالمية والحركات السياسية التي تتحالف معها هي مشروعاً ضرورياً. انها تعتمد على الاعتقاد بأن الواقع المتغير الذي نسميه العولمة يمكن ان يدعم هذه الرؤية، وإذا كان هناك من يعتقد ان العولمة تقود إلى موت الجغرافيا فأن العمل ضمن أفكار الجغرافيا النقدية هو رؤية لجغرافية تطبيقية إنسانية تنشد السلام والرخاء والعدالة على المستويات المحلية والوطنية والعالمية، وبهذا تمنع عرض العالم للبيع، وتحقق الجغرافيا وظيفتها الاجتماعية ونفعيتها.

الهوامش :

(1) Chandrey Banerjee (Positivism) component II -e –Text, p.1.
(1) R.D .Dikshit (Geographical Thought :A contextual History of Ideas) prentice-Hall of India ,New Delhi ,2004 ,P .127 .
(1) Oyeleke Oyerinde (Is Positivism Inevitable in Geography) Journal of Geography, Vol.7, No.1, 2016, PP 1 – 2

(1) ينظر:

- R. D. Dikshit, Op. Cit., p.129.
- R. J. Johnston (philosophy and human geography: An Introduction to Contemporary Approach) 2nd ed.; Edward Arnold, London, 1986, pp. 27-28.

(1) Fred. K. Schaefer (Exceptionalism in geography: A Methodological Examination) Annuals of the association of American geographers, 43, 1953, pp. 226-249.
(1) Chandrey Banerjee, Op. Cit., p.5.
(1) Chandrey Banerjee, Op. Cit., p. 6.

(1) ينظر الآتي:

- Peter Haggett (Locational analysis in human geography) Adward Arnold, London, 1965.
- Richard Chorley (Geomorphology and General System Theory) Professional Paper 500-B, United States geological survey, Washington, DC., 1962.
- David Harvey (Explanation in geography) Adward Arnold, London, 1969.

(1) حول هذه النماذج يمكن الرجوع إلى المصدر الآتي:-

Majid Hussein (Models in geography) Rawat, New Delhi, 2015.
(1) Chandrey Banerjee, op. cit., p.7.
(1) Ibid, p.8.
([1]) Majid Hussein (Evolution of geographical thought) Rawat, New Delhi, 2004, pp, 240-241.
([1]) Chandrey Banerjee, Op. Cit., pp.10-11. ينظر أيضاً
James Bird (The changing worlds of geography: A Critical guide to concepts and methods), Clarenton Press , Oxford, 1989, p. 46.
(1) Noel Castree (Professionalization, activism and the university: whither critical geography?) Environment and planning A., 32, 2000, P. 956. قارن مع R. M. Kitchin and P. J. Hubard (Research, action and critical geographies) Area, vol. 31, No. 3, 1999, p.195.
(1) Joe painter (critical Human Geography) in R. J. Johnston and others "eds" (The Dictionary of Human Geography) Blackwell, Oxford, 2000, p. 126.
(1) Nicolas Blomley (Uncritical critical geography) progress in human geography, vol. 30, No. 1, 2006, p.87-94.

(1) حول هذا الموضوع:

- International Critical Geography Group (Statement of purpose) Environment and planning D. society and space, 17, 1999, p.382.

- Caroline Desbiens (The International Critical Geography Group: Forbiden Optimism) Environment and planning D. society and space, 17, 1999, pp. 379-381.

- يمكن الاطلاع على البحث الاتي المنشـــور في مجلة مداد الاداب كدراســـة جغرافية نقدية لمفهوم الامن الغذائي واستبداله بمفهوم السيادة الغذائية :
- عباس غالي الحديثي (السيادة الغذائية:نحو نظام غذائي عالمي جديد) مجلة مداد الاداب ،عدد خاص بالمؤتمرات 2018-2019،ص ص556-582.

(1) Jim Glassman (Critical Geography I: The Question of internationalism) Progress in Human Geography, Vol. 33, No.5, 2009, PP.687 – 689.

(1) حول هذا الموضوع ينظر:

- Lawrence D. Berg (Scaling Knowledge: towards a critical geography of critical geographies) Geoforum, 35, 2004, p.355.
- Joe Painter (The International Critical Geography Group) 2003, P.2.
- U. Best (Critical Geography) International Encyclopedia of human geography, Elesvier, London, 2009, pp. 355-356.
- Derek Gregory and others (Dictionary of Human Geography) Blackwell, London, 2009, p.124.

(1) Mei-Po Kwan and Tim Schwanen (Quantitative Revolution 2: The Critical (Re Tum) Professional 9cography, Vol.61, No.3, 2009, P. 284

(1) Niharika Narayan (Merits and Demerits of Quantitative Techniques in Geography) MA Semester 111, 2019 – 2021, P.3

(1) Mei-Po Kwan and Tim Schwanen, OP. Cit., P. 284.

(1) Marianna Pavaloskay (Theorizing with GIS: a tool for critical geographies) Environment and Planning-A, Vol. 38, 2006, p.2003.

(1) Mei-Po Kwan and Tim Schwanen, Op. Cit., P. 286.

(1) R. J. Johnston, Op. Cit., p.11.

(1) Ibid, p.54.

(1) Mei-po Kwan and Tim Schwanen, Op. Cit., p.281.

المصادر والمراجع:

1- عباس غالي الحديثي (السيادة الغذائية:نحو نظام غذائي عالمي جديد) مجلة مداد الآداب ،عدد خاص بالمؤتمرات 2018-2019،ص ص556-582.

Reference:

1. Caroline Desbiens (The International Critical Geography Group: Forbiden Optimism) Environment and planning D. society and space, 17, 1999.
2. Chandrey Banerjee (Positivism) component II -e –Text.
3. David Harvey (Explanation in geography) Adward Pirnold, London, 1969.

4. Derek Gregory and others (Dictionary of Human Geography) Blackwell, London, 2009.
5. Fred. K. Schaefer (Exceptionalism in geography: A Methodological Examination) Annuals of the association of American geographers, 43, 1953.
6. International Critical Geography Group (Statement of purpose) Environment and planning D. society and space, 17, 1999.
7. James Burd (The changing worlds of geography: A Critical guide to concepts and methods), Clarentonpress , Oxford, 1989.
8. Jim Glassman (Critical Geography I: The Question of internationalism) Progress of Human Geography, Vol. 33, No.5, 2009.
9. Joe painter (critical Human Geography) in R. J. Johnston and others "eds" The Dictionary of Human Geography) Blackwell, Oxford, 2000.
10. Joe Painter (The International Critical Geography Group) 2003.
11. Lawrence D. Berg (Scaling Knowledge: towards a critical geography of critical geographies) Geoforum, 35, 2004.
12. Majid Hussein (Evolution of geographical thought) Rawat, New Delhi, 2004.
13. Majid Hussein (Models in geography) Rawat, New Delhi, 2015.
14. Marianna Pavaloskay (Theorizing with GIS: a tool for critical geographies) Environment and Planning-A, Vol. 38, 2006.
15. Mei-Po Kwan and Tim Schwanen (Quantitative Revolution 2: The Critical (Return) Professional 9cography, Vol. 61, No. 3, 2009.
16. Nicolas Blomley (uncritical critical geography) progress in human geography, vol. 30, No. 1, 2006.
17. Niharika Narayan (Merits and Demerits of Quantitative Techniques in Geography) MA Semester 111, 2019 – 2021.
18. Noel Castree (Professionalization, activism and the university: whither critical geography?) Environment and planning A., 32, 2000.
19. Oyeleke Oyerinde (Is Positivism Inevitable in Geography) Journal of Geography, Vol.7, No.1, 2016.
20. Peter Haggett (Locational analysis in human geography) Adward Pirnold, London, 1965.
21. R. D. Dikshit (Geographical Thought: A contextual History of Ideas) prentice-Hall of India, New Delhi, 2004.
22. R. J. Johnston (philosophy and human geography: An Introduction to Contemporary Approach) 2nd ed.; Edward Arnold, London, 1986.
23. R. M. Kitchin and P. J. Hubard (Research, action and critical geographies) Area, vol. 31, No. 3, 1999.

24. Richard Chorley (Geomorphology and General System Theory) Professional Paper 500-B, United States geological survey, Washington, DC.
25. U. Best (Critical Geography) International Encyclopedia of human geography, Elesvier, London, 2009.